الفصل الثامن عشر

السل الرئوي

السل الرئوي ، وما أدراك ما هو ، هو من الأمراض المعدية الوبيلة ، كثيرة الانتشار ، عظيمة الفتك ، لأن الذي يؤخذ من مجمل الاحصاءات هو أن عُشر الوفيات تقريباً تكون بسبب هذا المرض في بلاد الانكليز ، وما الفرق ببعيد بين هذه البلاد وغيرها . ويقول بعضهم إن معدل من يموت به يربو [١] عن سبع العالم ، ومن هنا كان شره مستطيراً ، والخوف منه كثيراً . وهو ينشأ عن ميكروب اكتشفه الدكتور كوخ بهيئة عصيات ، ممشوق [٢] قوامها ، ويبلغ طول الميكروب نحو ٣ من الف من المليمتر ، وقطره نحو العشر من ذلك ولا يرى الا بالمجهر [٣] ، ولكي تتصور حجم هذه الميكروبات نقول لك إن القيراط المربع يشغله نحو ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميكروب تقريباً ، وهذه الميكروبات تتكاثر

---

(١) يربو بمعنى يزيد . (٢) طويلة رقيقة (٣) المجهر هي الآلة المعظمة

بسرعة غريبة ، وتوجد حولنا فى الهواء الذي نستنشقه ، وتمتاز بقوتها على احتمال الفواعل الطبيعية والكيماوية ، فانها في حالة الجفاف تقاوم البرد والحر ، وتبقى عدواها بعدأن تتطاير مع الغبار الى ستة أشهر . وهي تصل الى الجسم من طرق عديدة ؛ فقد تدخل الى القناة الهضمية اذا شربنا لبن بقرة مسلولة بدون اغلائه ، أو أكلنا لحم حيوان مصاب بالتدرن ، وهو السل ، وقد تدخل مع الهواء الذي نستنشقه فتصيب الرئتين . ولتذكر ما مرّ بك من أن الميكروبات اذا دخلت في أنسجة الجسم حصل بينهما قتال شديد ، وقامت بينهما حرب عوان ، وبذلك تتنازعان البقاء ، ومتى عقد النصر لأحداهما وتم الفوز أصبحت الأخرى في قبضة الخطر وقضي عليها بالهلاك والموت غالباً . فاذا كان الجسم قوياً والبنية سليمة صحيحة تغلبت الأنسجة على الميكروبات على غير ما يكون اذا لم يكن الجسم قوياً والبنية سليمة صحيحة من ضعف ورائي ، أو غذاء ردي ء أو تعب متواصل ، أو من الادمان على المسكر والتدخين ، وترف المعيشة ، ونعومة الحياة ، والسكنى في الأماكن المنخفضة ، غير جيدة الهواء ، المحجوبة عن نور الشمس ، والعادات الذميمة ؛ فهذه

كلها مثيرة للمرض إثارة غير مباشرة لانها تهيئ الجسم وتجعله مرعى خصيباً قريب التأثر بالميكروبات اذا وصلت اليه ، بعيد الأمل في الشفاء . ومن هنا يتضح لك السر في أن هذا المرض ، كسائر الأمراض المعدية ، قد يفتك ببعض الناس دون بعض مع استوائهم في التعرض لأسبابه، فلتتنبه لذلك ولتدرأ به دعوى المعترضين على العدوى غير المؤمنين بها

أعراض المرض — كثيراً ما تخدع الأعراض العليل لأنها تأتي هينة ولا تعبث بهِ الا تدريجاً . فاذا دخل الميكروب في الجسم ، ووجد مرتعاً يناسب حياته ، ويوافق نماءه استقر في مكانه ، وابتدأ في معاكسة ما يجاوره من الأنسجة فيحدث التهاباً خفيفاً فيها . ثم تمتد مساحة الالتهاب تدريجاً ، وتلتئم البقع الملتهبة المتفرقة ، وأخيرًا يقل غذاؤها الدموي فتنحل وتلين وتخرج بالسعال نفثاً عن طريق المسالك الهوائية ، وتنشأ منها بؤر صغيرة أو كهوف في الرئتين لاندثار الأنسجة الرئوية فى موضعها . ثم تلتئم الكهوف الصغيرة مكوّنة كهوفاً كبيرة يخرج منها افراز كثير مع السعال ؛ وهكذا حتى يتلف معظم النسيج الرئوي

وتظهر الأعراض العمومية مع الأعراض الموضعية الناشئة من المرض التدريجي الذي في الرئة . فيُحدث الالتهاب الذي في الرئة سعالا جافاً قصيرًا ، وهو من الأعراض الأوَّلية التي تتعب المريض . ولايخرج أولاً مع السعال بصاق ، وان خرج يكون مائياً رغوياً . وبازدياد الالتهاب الذي في الرئة يكثر البصاق ويغلظ حتى يصير أخيرًا مادة صرفة . ويغزر في الأدوار الأخيرة ، واذا فحص بالمجهر وجدت فيهِ قطع من المنسوج الرئوي . ويصح وقتئذٍ ان يقال ان المريض ينفث رئته تدريجاً . وكثيرًا ما يشاهد الدم في البصاق ، ويكون ، أولاً ، بهيئة خطوط في البصاق ، ثم يزداد بعد ذلك ، ويغزر أحيانًا فيحدث الموتَ ويكون ذلك من انفجار وعاء كبير في الرئة . ولا يتحتم النفث الدموي في السل لأنهُ قد لا يشاهد . ويعتري المريض مع هذه الأعراض عسر في التنفس لا يتضح أولاً ، الاَّ مع المجهود ، لكنهُ يشتد ، أخيرًا ، من تلف الرئة . ومن الأعراض الأولية التي تلزم هـذا المرض هزال البدن وذبول الجسم وذوبانه ، وما سمي المرض بهذا الاسم الاَّ لذلك لأن السلّ لغة هو الهزال . فتذوى نضرة المريض تدريجاً ،

وتذهب كدنته[١] ويتخبخب[٢] بدنه، ويتخدد[٣] لحمه، ويصفارّ وجهه ، ويحدث كل ذلك بدون اعراض معينة يشكو منها المريض لأن السعال لا يكون وقتئذٍ الاَّ نحمة[٤] قد تفوت غير الفطن . ولتعلم ان الذبول الذي يأخذ العليل في هذا المرض ليس وقتياً يزول بعد حين بل يتخوّنه[٥] حتى يبرى جسمه فيصبح بادي القَصَب منقف[٦] العظام

فاذا ألمّ بك سعال جافٌ خفيف ، ومكث معك زمناً طويلاً ، واعتراك ذبول أضوالك ، فعليك باستشارة طبيب ، وإيّاك والاهمال في أمرك . قد لا يكون بك ما يبعث على القلق والشجو ، لأن هناك من الأمراض قريبة العلاج ما يُحدث هذه الأعراض ، ولكن هل من بأس في ذهابك للطبيب ليطمئن قلبك برأيه بعد فحصك فحصاً جيداً ؟

والمعتاد ان تجدّ أعراض أخرى غير التي ذكرت كالعرق الشديد الذي يحدث ليلاً ، وينهك الجسم نهكا غريباً ، وقد يشتد حتى يندى بهِ الشعر ، ويسقط من الجسم قطرة قطرة ،

(١) الكدنة هي غلظ اللحم وكثرته (٢) تخبخب بدنه اي هزل بعد السمن (٣) يتخدد اي ينقص (٤) النحمة شبه سعال لأذي يجده المريض في حلقه (٥) بمعنى يتعهده (٦) بادي

ويبل الملابس والقطائف، وكثيرًا ما يستيقظ المريض متفصداً عرقاً، ويخشى النوم مخافة العرق. وعند تفاقم المرض لا يقتصر العرق على الليل، بل يحدث في النهار ايضاً، ولاسيما عند أقل مجهود. وغالباً تزداد الحرارة، ويسرع النبض والتنفس. وارتفاع الحرارة علامة مهمة جداً. فاذا توهمت انك مصاب بالسل فاستشر الترمومتر؛ قس حرارتك ليلاً في الساعة التاسعة أو العاشرة، وليهدأ روعك اذا كانت طبيعية؛ لأن الحرارة لابد ان ترتفع غالباً عند النوم، ولاسيما اذا كان المرض آخذاً مأخذه. قد لا تعلو الحرارة عن درجة ٣٨ سنتغراد، وقد تصل الى ٤٠. فاذا ارتفعت الحرارة ليلاً تنخفض كثيرًا في الفجر اذ تكون أقل من الدرجة الطبيعية. ومتى اشتد المرض كان الارتفاع في المساء شديداً، والهبوط في الصباح عظيما، وتسمى هذه الحمى التي تأخذ العليل بهذا الشكل حمى الدق، وهي من العلامات الخطرة. وقد يتساقط شعر المريض، ويعتريه اسهال، وكلا العرضين غير مهم، لكن الاسهال قد يكون نذير سوء اذا جاء في نهاية المرض. ومن الغريب ان السل ليس من الأمراض المؤلمة؛ فلا يشكو المريض

الاَّ من ألم خفيف في الصدر في الجزء العلوي من الجهة المصابة أسفل الترقوة ، في الامام أو في الخلف . وقد لا يكون هذا الألم . وأغرب من ذلك شدة أمل العليل في الحياة وتيمنه[١] فتجده يتلمس مسارب الحياة وهو في أشد حالات الخطر ، ويتطلب بوارق الرجاء وهو في أعظم درجات اليأس

العلاج — لعلَّ أوَّل ما يخطر ببال القارئ عند الكلام على علاج السل هو أيبرأ المسلول من علتهِ أم يستعز[٢] به هذا الداء الناجس[٣] العياء[٤] فلا ينجع فيهِ الدواء ؛ والجواب على ذلك أن هذا المرض لا ينتهي بالهلاك في كل الأحوال ، بالرغم عن العلاج ، على حد المعروف عنهُ ، بل كثيرًا ما يتعافى المسلول ، ويتم شفاؤه ، ولا سيما اذا استشفى من دائه قبل أن يستفحل أمره ، ويتفاقم شأنه ، وكثيرًا ما ترى الأطباء أثر التحام في الرئة ناشئة من شفاء نقط درنية فيها

بيد أن بعض الأحوال قد يكون الداء فيها دوياً[٥] ويتعذَّر فيها الشفاء بالرغم من العلاج ، وتسير سيرها حتى

---

(١) التيمن ضد التشاؤم (٢) يشتد (٣) الناجس هو الذي لا يبرأ (٤) العياء هو الذي لا يرجى برؤه (٥) الدوي هو الشديد

تنتهي بالهلاك ، ولهذا يجب اكتشاف المرض عند بدئهِ لكي يتيسر حسمه وهو في دوره الأول ، أما اذا أهمل الى دوره الأخير فلا ترجى من العلاج فائدة سوى تخفيف الأعراض وتلطيفها . وعلى المعرضين للسل بالوراثة أن يهتموا بأنفسهم؛ فلا يهملوا برداً خفيفاً ، وأن يستشيروا الأطباء اذا لازمهم عرض من الأعراض الصدرية

أما موضوع العلاج نفسه فأصعب من أن أوفيه حقه في مثل هذا المختصر ، وحسبي أن أشير الى أغراض العلاج المختلفة وهي إيقاف المرض بقدر الامكان ، وتقوية التغذية العمومية في الجسم ، وعلاج الاعراض الخاصة بالأدوية المناسبة . وللوصول الى هذه الأغراض نستعين بالعقاقير ، وبالغذاء ، وبمراعاة الشروط الصحية ، وبالطقس . وقد تستعمل العقاقير رجاء مكافحة المرض ، وهو في الرئة ، أو ارادة التقوية العمومية . ولقد ترقبوا فائدة كبيرة من استعمال التيوبركولين الذي اكتشفه الدكتور كوخ بأشكال مختلفة ، وهو لا شك ذو قيمة حقيقية للأغراض التشخيصية والعلاجية . وعدا ذلك ليس هناك دواء خاص للسل ، وان كانوا قد استعملوا أنواعاً كثيرة

وادعوا لها النجاح العظيم، ولا شبهة في أن لبعضها تأثيرًا حسناً في كثير من الأحوال . ومن ذلك الكريوزوت المستخرج من تقطير قار الخشب، ولتعلم أن أفضل أنواعه المستخرج من خشب شجر الزان . ويمكن الحصول عليهِ في محافظ، يختلف مقدار ما فيها من ربع نقطة الى ٥ نقط في المحفظة . ويلزم أن يكون المقدار صغيرًا أولاً؛ فتؤخذ محفظة تحتوي على ربع نقطة ثلاث مرات في اليوم بعد الأكل مباشرة، ثم تزاد الجرعة تدريجاً حتى يصل مقدار ما يتناوله الشخص في اليوم من ١٥ نقطة الى ثلاثين؛ ويمكن استعمال المزيج الآتي :

كريوزوت من	٣٠	الى ٨٠ نقطة
صبغة الحبهان	١٥	جراماً
جلسرين	٦٠	»
كؤول لغاية	١٢٠	»

لعقتان صغيرتان في قليل من الماء بعد الأكل، ثلاثة مرات في اليوم

يستعمل المزيج بالمقدار الصغير من الكريوزوت أولاً ،

ثم يزاد المقدار تدريجاً . ولتعلم أن الجسم يمتص الكريوزوت ويخرج بعضه من الجسم بواسطة الكليتين ، وربما غيَّر لون البول وجعله أسود ، ويخرج البعض الآخر بواسطة الرئتين بدليل ما يشم من رائحته في النفس . وبتناول هذا الدواء تنخفض الحرارة ، ويخف السعال ، ويقل البصاق والهزال ، لكنه قد يثقل على المعدة ، فيضعف شهوة الطعام ، ويحرض القيء ، ويحدث عسراً في الهضم ؛ ووقتئذٍ يفضل مركب من الكريوزوت مع حامض الكربونيك يسمى بكربونات الكريوزوت ، أو الكريوزوتال ، لأنه خفيف على المعدة ، ويمكن تناوله باحدى طريقتين : -

(١) يركب المزيج الآتي :

كربونات الكريوزوت	١٥ جراماً
صفار بيضة	
شراب طولو	٦٠ »

ويؤخذ منهُ لعقة صغيرة ثلاث مرات في اليوم

(٢) أو يؤخذ في محافظ تحتوي المحفظة الواحدة على

نصف جرام من كربونات الكريوزوت وتؤخذ ثلاث مرات في اليوم

ولا بأس من دوفه[١] بزيت كبد الحوت للأطفال كما يأتي :

كربونات الكريوزوت	١٥ جراماً
زيت كبد الحوت لغاية	٢٠٠ »

تؤخذ ، أولاً ، لعقة صغيرة ثلاث مرات في اليوم ويزاد المقدار تدريجاً حتى يأخذ العليل ثلاث لعقات كبيرة في اليوم

ويحسن ان نذكر هنا فضل زيت كبد الحوت أو زيت السمك على المسلولين ، ولتعلم انهُ ليس دواء، لكنهُ غذاء غاية في الأهمية ، لأنهُ يزيد تغذية الجسم بفائدة خواصه الزيتية . وليؤخذ من هذا الزيت أولاً لعقة صغيرة ثلاث مرات في اليوم بعد الاكل . ويزاد المقدار تدريجاً لكي لا يثقل على المعدة ؛ ولتعلم ان تناول الزيت قبل الاكل قد يحدث غثياناً ويفسد شهوة الطعام . ولئن توجره[٢] البعض ، أولاً ، بسبب طعمه فهم يعتادونه ، أخيرًا ، وقد يستمرئونه . ويمكن تحسين طعمه بتناوله مع اللبن ، أو الماء والملح ، أو القهوة ، أو الجعة ،

(١) خلطه (٢) تناوله كارهاً

أو عصير الليمون . وأفضل من ذلك تناوله مع خلاصة المالطين لشدة ائتلافه بها وفائدتها الخصوصية . أما الغذاء فيلزم أن يكون كثيرًا ، مغذيًا جداً ، لكن بشرط ألاَّ يفسد الهضم . ويتم ذلك بتناول مقدار كبير من المواد الشحمية ، واللبن ، والقشدة ، والزُبْد ، والبيض ، والفراخ ، والحمام ، واللحوم مع الخضراوات المختلفة ، والمواد النشائية . ولا بأس من هضم الطعام قبل تناوله هضماً صناعياً . ويجب ان تراعى كل القواعد الصحية . ولقد شوهدت نتائج حسنة من الهواء المطلق مع الغذاء الجيد . فاذا لم يتيسر للمريض أن يكون في الهواء المطلق فلا بد أن يكون مسكنه جيد الهواء في أرض رملية مرتفعة ، ولتكن غرفة النوم مطلقة الهواء معتدلة الحرارة . ويحسن أن يكون شعار العليل من الصوف ، وأن يتقي البرد بقدر الامكان . ويمكن تقوية الصحة العمومية وتحسين شهوة الطعام بالتركيب الآتي مثلاً :

صبغة بركلورور الحديد	٨	جرامات
حامض الفوصفوريك المخفف	١٢	»
شراب الهيبوفصفيت المركب	١٠٠	»

لعقتان صغيرتاز ، في قليل من الماء ، ثلاث مرات في اليوم ، بعد الأكل

ويبقى علينا ، بعد ذلك ، النظر في علاج أهم الأعراض. ومن هذه الأعراض التي تستدعي العناية الحمى . وهي غاية في الأهمية لأنها اذا أخذت المريض رفاً [١] ، ووصلت درجة الحرارة الى ٣٨ سنتغراد بدون سبب واضح فلا بدَّ من الاشتباه في السل . وتتميز حمى هذا المرض بشدة ارتفاعها ليلاً وهبوطها صباحاً — يعني يجوز أن يكون المريض مسلولاً مع بقاء حرارته طبيعية في الصباح ؛ ويجوز معالجتها بالمزيج الآتي:

ساليسلات الصودا	٠.٥٠ جراماً
صبغة الليمون	جرام
ماء لغاية	٣٠ جراماً

تؤخذ هذه الجرعة كل ست ساعات أو أربع

لكنها اذا لم تزد عن ٣٨ يحسن استعمال الزرنيخ عوضاً عن ساليسلات الصودا بالطريقة الآتية :

---

(١) يقال أخذته الحمى رفا بالكسر اذا أخذته كل يوم

محلول الزرنيخ الحامضي	٣ نقط
شراب البرتقال	جرام
منقوع ساق الحمام لغاية	٣٠ جراماً

تؤخذ هذه الجرعة ثلاث مرات في اليوم

وقد ينفع التدليك بالخل العطري . أما ألم الصدر ، أو الالتهاب الموضعي الذي في الرئة فيعالج بدَهن الصدر بمروخ اليود أو بتدليك الظهر بمروخ التربنتينا وحامض الخليك . أما السعال فينفعهُ هذا المروخ واستعمال لعوق المورفين أو البلادونا . ومن الأعراض المتعبة في السل العرق الليلي الغزير ، وهو يخفف بتدليك الجسم قبل النوم بالماء الدافئ أو بالخل والماء ، وبتناول حبة عند النوم بالتركيب الآتي :

اوكسيد الزنك	١٠ سنتيجرامات
خلاصة البلادونا	٢ »

ويعالج الاسهال بالالتفات الى الغذاء وبتناول الجرعة الآتية كل ثلاث ساعات أو أربع :

مغلي البقم أو الخشب الأحمر	١٠ جرامات
كربونات البزموت	نصف جرام

شراب الجنزبيل	جرامان
ماء لغاية	٣٠ جراماً

الوسائل الوقائية — اذا عرفت ان السل من الأمراض التي لمَّا يظفر بالعلاج الذي يطرد نفعه فيها ظهرت لك أهمية الوسائل الوقائية التي يلزم العمل بها للتحرُّز منهُ قبل حدوثه . وأهم هذه الوسائل هي تطهير البصاق وسائر مفرزات المصابين بمختلف الاصابات الدرنيـة تطهيرًا كاملاً . فعلى الطبيب ان يبين لمريضه انه لا ينفك منبعاً للعدوى ، وان في وسعه ان يمنع امتداد المرض منـهُ الى غيره اذا ما التفت الى مسائل صغيرة ليس عليهِ من بأس في اتباعها

ولما كانت العدوى ترد على الاكثر من بصاق المسلول بعد جفافه وتطايره في الهواء وجب عليهِ ان لا يتفل الاَّ في مباصق محكمة الغطاء بعد ان يوضع فيها محلول مطهر . والمباصق على أشكال مختلفة ؛ بعضهـا من الزجاج والبعض الآخر من الصاج المدهون . وكيفما كان شكلها أو نوعها يلزم تطهيرها جيداً بعد الاستعمال . واذا لم يتيسر للمسلول ان يبصق في متفلة لبعده عن بيته أو مكانه فعليه ان يستصحب

معه حيثما ذهب منديلاً من المناديل الرخيصة ليبصق فيهِ حتى اذا رجع الى بيته أحرق المنديل المستعمل . وقد ارتأى اليابانيون اتخاذ المناديل من الورق المضغوط ثم طرحها في النار بما فيها من البصاق بعد استعمالها

ويلزم تطهير الملابس والملاءات وكل ما عساه يتلوَّث ببصاق المسلول تطهيرًا جيداً . ويجب ان تخصص له أواني ليأكل فيها ، ومناشف ليستعملها هو وحده ، وهذه كلها يجب تطهيرها جيداً بعد استعمالها . ولا بدَّ من اتلاف ما يتبقى من مائدته وطعامه

اما غرفة المريض فلا بدَّ ان تكون غاية في النظافة ، ويلزم تجديد الهواء فيها مراراً ، ومنع البصق في أرضها . والمعتاد عدم كنس الغرفة بل يجتزأ عن الكنس بمسح أرضها بخرقة بعد بلّها بمحلول الفنيك بنسبة ١ في ٢٠ أو بمحلول السليماني بنسبة ١ في الألف ، مرة في اليوم

ومما يحسن ان يتأدب بهِ المسلول عدم التقبيل أو المصافحة باليد . لأنهُ يجب على الانسان اذا لامس عليلاً ان يغسل يديه غسلاً جيداً

وعلى الاطباء ان ينصحوا للمسلولين بعدم الزواج ، ويمنعوا الأم من ارضاع طفلها اذا كانت مسلولة ، وان يرفضوا المراضع المأجورة اذا كنّ مسلولات . اما واجب الادارة الصحية فالتفتيش على المجازر (السلخانات) ، واتلاف الحيوانات المصابة لكي لا يباع اللحم المصاب بالسل ، والتفتيش على معامل اللبن ، وفحص الحيوانات الحلوبة لكي لا يباع اللبن من بقرة مسلولة مثلاً ، ومنع استخدام الأشخاص المصابة بالسل في هذه المعامل

وعدا ذلك كله يلزم تقوية الجسم ، والمحافظة على الصحة العمومية باتباع كل القواعد الصحية كتجنب المشروبات الروحية ، والافراط في التنعم والرفاهية ، وعدم ضغط الأعضاء الصدرية بتضييق الملابس وباستعمال المشد مثلاً ، وبتخيّر الغذاء الجيد والمسكن ، وبنظافة البدن والملابس وغير ذلك